

نصر الدين البصرة

البستان

- مجموعة شعرية -

منشورات اتحاد الكتاب العرب

1997

قراءة ممتعة
مع تحيات يحيى الصويفي
مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
SyrianStory

حقوق الطبع والنشر والاقتباس

محفوظة

لانجاد الكتاب العرب

تصميم الغلاف الفنان :

الإهداء

إلى زوجتي الحبيبة.. الملهمة

الفهرس :

7.....	1. بستاني
8.....	2. أحزان... من كأس الليل
12.....	3. أناشيد دمشقية في الغربية
28.....	4. الحب
32.....	5. وردة الشام
36.....	6. ماذا .. لو أن
40.....	7. صلاة
43.....	8. وجه الخير
47.....	9. التحدي
52.....	10. عودة إلى زمان الهوية
56.....	11. أنا وأنت
61.....	12. أربعة عشر
66.....	13. عشتار
70.....	14. ربما
76.....	15. من أغنيات طائر الرعد
80.....	16. بيتنا
85.....	17. حبيتي
93.....	18. الحبيبة الأم الأخت

بستاني

مافي بستانني إلا الورْدُ
والسوسن والزنبق والفلّ
والزهر البرّي قطوفٌ تلو قطوفُ
لكنّ الشوكَ يموت على أطراف الغدرانُ
والعوسج يذبل.. تحت رشاش العطرُ
.. لامطرَحَ في هذا البستانُ..
إلا للمُضعف والنرجس والريحانُ
ممنوعٌ أن ينمو في أرضي الشوكُ
ممنوعٌ أن يُنصب في حقلي شركُ
تجري غدراني صافيةً سمحاءُ
تنمو أشجاري باسقةً شماءُ

صيف 1981

...

أحزان... من كأس الليل

أيها الرجل الحزين
كبحر.. بعد العاصفة.
أيها التعيس كأم...
لم يرجع ابنها.. من الحرب.
.. لقد سلكت
في كثير.. من الدروب،
وارتقيت شعاباً صعبة
في الجبال...
أيها الرجل المجروح
كأغنية تكاد أن تنتهي
.. أيها الخائب .. كفلاح
لم تمطر غيمته...
لقد عانقت الأمواج
في أعالي البحار...
وضيقت في القطارات
بين السكك التي لا تنتهي
والغابات التي تدفن الأسرار...
... ألا قل لي

أيها الرجل الحزين...
هل تسلقتَ مرة
حبلًا من الهواء؟
وهل تصورت يوماً
كيف يمكن أن تسير
فوق ذوابات الضباب..
وهل ملأتَ قدحك
ذات ليلة...
من كاس العتمة؟
- 2 -

في هذا الزمن..
بات حليب الأطفال
مسموماً بروائح الصفيح العطنة
أما أنت
فقد رضعتَ حتى الثمالة
من ثدي أمك...
فأية ذكريات مريرة...
تحملها في رأسك...
عن زمن الفطام؟
... لقد كبرتَ
أيها الرجل المشروخ

كسماء يقصفها الرعد..
وذاق فمك ...
طعم التراب...
وعرف نكهة اللوز والتفاح..
وتكاد مرارة الأشياء
أن تجعلها جميعاً
بطعم الحنظل... فلماذا ترجع.. إذن..
إلى زمن الفطام
وعمّ تلوب باحثاً،
في الطريق المسدودة؟
- 3 -

أيها الرجل الضائع
في جزر الخضرة ..
لماذا سرت
باتجاه الشواطئ التي تشهد غروب الشمس؟
... لماذا لم تحمل
منديلاً في يدك..
وأنت ترى السفن تقلع؟
لقد هبط الليل
وأنت.. في مطرك...
تنتظر ضوءاً ...

قد لا يطلع...
وتبحث عن مركب ...
ربما هاجر ..
منذ أيام
أيها الرجال اللاهث
وراء شمس
تتوارى خلف الجذوع
على يسار الطريق،
مثل أطفال
يعابثون الظلمة
أول المساء...
..أيها التائه
كضرب .. بلاعصا ...
انتظر قليلاً
حتى الصباح...
واتجه ..نحو الشرق
فمن هناك
تشرق الشمس الحقيقية
ويبزغ الفجر..

...

أنا شيد دمشقية ...

في الغربية

أناشيد دمشقية ... في الخربة

-1-

كنتِ بالأمس
سيدة اللحظات،
والآن
أنت وحدك
أميرة الأمكنة
في الثلج الذي غمر كل شيء:
السهل والوادي
الجبل والأرصفة
وشعر الأطفال الشقر
وذرى الأشجار العالية
.. حيث أرى قلبك الأبيض
يتوهج وراء المسافات ...
مثل قمر ربيعي

تمرّ بي الوجوه

- 14 -

مثل قطارات سريعة،
لأريدها أن تقف.
تركض الأشياء
من حولي ،
كانها تدور
في دوامة صعبة
.. تكفهر الأمداء أمام عيني..
لا.. لأن السماء ملبدة بالغيوم
أو لأن الضباب
الذي هبط مع الصباح
حجب الأضواء والظلال،
... بل لأن وجهك
الواضح القسمات
لم يعد يشرق
في سمائي المسافرة
.. لأن عينيك الخضراوين
كبساتين الغوطة
أمستا بعيدتين
كأنهما نجمتان مهاجرتان،

الصوت لا يصل
والالصدى
والجو ثقيل..
كأنه رصاص مسكوب
والأشجار عريانة..
كروح لم يدفنها الحب،
والطيور غادرت
إلى مواطن الدفء
وثمة قلب متعب
يتلفت بائساً
وقد افتقد دفقته الحارة.

-2-

"يكبر .. ينمو حبك
يجتاز البحر ويملاً رحب الأرض
تحتفل اللحظات بذكرك
تتهلّ الكلمات
ويخصب هذا العمر
يابيدر ذاك الزمن الآتي
يأكل وعود الأرض..
مأحلى النوم
على هديبك.."

- 16 -

على ميلاد الصبح
.. هلي ذكرى
ضيئي فجرأ
أو كوني اللهب المحرق
يا حلم الكلمات ...
ها أشرق وجهك
في غابة هذا الثلج
هازهر
لوز العينين الأخضر
في وحشة .. هذا البستان المقفر."

-3-

أوقفت الزمن
على وقتك
عندك الشمس تشرق ..
وعندي ..
وراء جبال الجليد
وغابات الصقيع
يمعن الصبح في التواري
وراء الضباب والشفق
..ولكن وقت الحب
يعرف جيداً

- 17 -

كيف تغادر الساعات مداراتها
ليكون هناك،
زمان واحد...
وإذ تنهي الثواني
دورة صغيرة ..
على محيط الزمن ..
تتنفض الدقيقة لتقول:
أحبك
وعندما تتراكم الدقائق
مثل أكداس الثلوج
يهبُّ القلب
وهو يغالب برودة الصقيع
ليعلن:
أحبك.

-4-

صرت أنت دمشق..
عصافير الشتاء
تهرب من البرد..
لتختبئ
بين أوراقك الدائمة الخضرة..
كل الطيور

- 18 -

هاجرت إليك
من هذا البلد البعيد
.. ورغم أن دخان المصانع
يلوث أنسام الصباح الباردة
خلف أكداس الجليد
في شوارع برلين العريضة الخاوية
فإن عطرك الناعم
كياسمين قاسيون
مازال يملأ صدري
ويمنحني القدرة على الصبر

.. أشربك
مع قهوة الصباح
في المقهى
الحافل بالغرباء
مثلما يفعل
أطفال الأحياء العتيقة
في هذه المدينة
التي احترفت الحب والحرب
حين يتجمعون ..

حول مدفأة البورسلان الكبيرة.

يذهب قطار
وتأتي حافلة،
يندف الثلج
ويتكسر الصقيع
تشرق الشمس لحظة
ثم تغيب نهارات...
يخطف شاب قبلة
على الرصيف،
ويرتمي قلب
في عتمة المنعطف
يلقي طفل كرة ثلج
وترف عينا أم.. كبرق
وأنا وحدي
احلم بعينين خضراوين..
وصدرٍ وسع كل أحلامي

-5-

"ياحبة هذا القلبُ
ياألق العمرِ

وسيدة الفرح الحاضر والآتي
إني ألقاك مع الفجر
في كل هبوب رياح
في كل مساءً ...
إذ تزحف مسرعةً
نحوي العتمة
لتضيف إلى ليلي ظلمة
أني ألقاك مع السحر
إذ يغدو لون السحب
بلون رماد الأفئدة السوداء...
لكن سنا عينيك يضيءُ
فيمنح ذا الفجرَ بريقةً
وتغني باسمك هذي الرياحُ
الآتية من القطب أو الشرق
فتغدو عاصفة الثلج رقيقةً
ويبدد عطرك
حلقة هذا الغيم الداكن
في وحشة هذا الليل
وأراك بموكبك العلوي
أميرة هذا القلب،
ياحبة هذا القلب."

-6-

تأكد الأمر الآن...
ليس جنوناً ولا مرضاً
..إنه الحب
يقرع الأبواب
بكلتا يديه.
.. يطيب العيش
يخلو الصباح
يغدو مساكب مواعيد
تصبح لشعاع الشمس نكهة لذيذة ..
تري العين الأجل والأفضل،
تشتعل أغنية
تجرح القلب
ويغادر الأزرق
جدرانه المتقشرة
ليكون لونَ السماء والبحر.
ومع أن الأحمر...
يظل يروي حكايات الدم
لكنه يمسي لون الفجر
الذي لا بد أن يأتي.

- 22 -

- 7 -

صوتك...
قمر الليالي الشاحبة
نشيد المسافات الطويلة،
وَألقِ الشمس
في بيارد السحاب
لحن النهار الغارب
على شاطئ البحر..
طائر النار
والشفقُ الأبدى

-8-

يخيفني هذا الصباح
أحياناً.
كيف أمكن أن يتفجر
بكل هذا الضياء؟
من أين جاء
هذا البريق
الذي يبهر العيون؟
كيف يقدر القلب
أن يبحر
في منازل الشمس؟

- 23 -

وهل يقدر اليوم
أن يتجاوز ساعاته
الأربع والعشرين؟
وهل تستطيع الأرض أن تدور
أكثر من مرة واحدة
كل سنة؟

...مايخيف حقاً
ليس ذلك الصباح الباهر الضياء..
وحده الليلُ السريُّ
هو الأجدر بالخوف.

- 9 -

"ماذا لو أن الغربية قد طالت
لو أغلق هذا البحر الأبواب
فبت بلا عينين
.. لو أن جبال الأرض ترامت من دوني
هل ثمة أفسى من هذا المنفى؟
.. لاصوتك يرسو في ميناء الليل
فيفكُّ الرصد
ويكسر أبواب الأحران...
هل ثمة أفسى ...
من أن تنزف هذي الساعات السودُ

- 24 -

كان اللحظة .. أكوام من صخر"

- 10 -

في الغوطة الشرقية
قرب الجسر
الذي نسفه تائر منسي
شجرة حور
لم يرها أحد...
تصل جذورها
إلى مواطن الدفاء الدائم..
ويرتفع جذعها
نحو أعلى نجمة
تراها العيون،
... هناك تكتب الظلال
أغنيات الأبد
وتنتقل على الغصون
طيور ..
جاءت من أعماق الكون
وتتبجس الينابيع...
شلالات من النور والنجوم ..
.. هناك .. فوق اللحاء الأخضر،

- 25 -

أبدًا كعينيك ..
كتبتُ اسمك
وجبلتُ دموعي وعرقِي ودمي
وجعلتُ منها ازميلاً ..
يستطيع أن يحفر اسمك
على أطراف السحب
وفوق غابات الفولاذ ..

- 11 -

"يامالكَةَ سرَّ اللحظاتُ
ياسيدة الزمن الآتي ..
جبيئني في الحلم
وصحوك حلم
جبيئني في اليقظة
يقظتك الأحدى ..
رفي أملاً
أو نور عيون
كوني ورداً
أو غصناً من زيتونٍ
يملاً أيامي خضرة ...
ويؤمّلي الآن .. غداً
عمراً .. دهراً ...

- 26 -

ويبدد عتمة هذا الليل
فيمسي صباحاً مؤتلقاً ..
فجراً....
ولقد أذف الميعاد بأن
يطلع هذا الفجرُ
هاأضواء الكون تطلُّ
هاعطر بساتين الشام يهلُّ
ها وجهك يطلع أحلى
من قوس قزحُ
وتصوغ عصافير الصبح..
نشيد فرحٍ.."

.... برلين 1981

...

-1-

- عند الفجر ... تطلع الشمس
فمتى تجيء أنت،
أيها الضيف الحار
أيها الزائر الذي
لا يحمل هوية .. في جيبه؟
- أجيء حين تمحل الأرض
وتجف الينابيع..
وتعري الأشجار من أوراقها
مثل روح يهزها الخوف..
وعندما يغدو صوت الليل
كصمت الوديان المهجورة ...

-2-

- ماذا يدعونك ...
أيها المسافر .. أبداً في البراري
وكيف ينادونك،
وأنت تخترق
غابات الإسمنت،

عاريا.. من كل سلاح؟
- أنا القمر الذي
يضيء مرة واحدة ..
كل عمر ...
الموجة الأقوى
من الجزر
والنهار الذي يقاتلُ الليل...
البريق .. الذي يعشق العيون،
والألق الذي يضيء في الخدود
مثل زهر الربيع..
بأناملي .. أغزل خيوط الصباح
وأضيء أحلام الشفق
وأكتب أسرارَ الفرح الأبدِيّ

-3-

-أين موطنك ...
أيها الطائر المجنح..؟
-هناك.. عند منابت الريح..
حيث تنمو الأمواج والأعاصير،
وتطلع أقواس قزح الكون..
... ربما أقمت
في خيمة .. تعانق الصحراء ...

فشربت من ندى الرمل،
وأكلت من طحالب الفيافي..
... وربما سكنت
في كوخ .. منسيً
عند سفح تل..
فشربت من الينابيع المنسابة
من أعالي الجبال...
وأكلت من الأعشاب
عند أطراف البراري...
ربما .. أقمت
في زورق مركون
على طرف شاطئ مهجور..
أو فوق بساط مهترئ، لكن ملوّن
في غرفة ... غائصة...
في عتمة الأحياء التي لا ترى الشمس..

-4-

-كيف تأتي...
أيها الزائر العجيب
الذي لا يحمل ساعة في يده؟
- قد أقرع الأبواب.
فلا يفتحها أحد ...

وعند ذلك فإنني لأنكص...
الانتظار يميّتي...
والمفاجأة تحييني
وفي مواعي أعرف جيداً
كيف أقتحم النوافذ...
وحين أعجز...
أتسلل من الشقوق..
وتقوب الأبواب...
مداهما كالطوفان،
عائياً كالعاصفة..
أعمى كالقدر...
.. أهاجم من كل مكان...
أقتحم الخلايا...
وأملأ العيون...
ولكني.. لا أقدم كأسى
إلا للشفاة الحارة الندية..
ولا أعطي كلمتي..
إلا للقلوب.. التي تحب أن تخفق
وتعرف جيداً...
كيف تصدح
بأغنيات الشرايين

1981/5/21 ..

...

وردة الشام

جميلة أنت ... ياوردة الشام
بأكمامك البيضاء.
وعطرك السريّ
وأشواكك المتوارية
خلف الأوراق الخضراء
ومع أنك قادرة أن تجرحي
وجرحك ألطف من جناحي فراشة
وشوكك العلني
رافع أبداً رايات النهار
فإنهم مازالوا يجرحونك
بالخناجر التي لا ترى
ويُدمون قلبك الأبيض
كصباحات الأنبياء.

- 2 -

صافية أنت
كأمسيات الصيف في أعالي الجبال
رائقة
كجدول يسقي مشاتل الزنبق

- 32 -

شفافة

مثل ماء مقطر .. في إناء نوراني
.. لكن هبة غبار صغيرة
قادرة أن تحول أمسيتك الحانية
لفح صحراء وهجيرَ قبِظ
وموجة عكرة واحدة
تكفي لأن تشرخ رواءك الهنيّ
فيغدو مثل ارض شققها اليباس
.. فمتى أيتها الغالية
تعلو أغنيتك الحلوة كعسل البراري
فوق نعيب الغربان ...
ومتى تدوسين بقدميك
أشواك الصحراء العاقر
ومتى تضربين بجناحك الأفاق
مثل طائر الرعد؟

- 3 -

رأيتك تمسحين الأفق
بعينيك المتعبتين
فتمنيت لو أكون
يمامة تأوي إلى عشها
تحت جفنيك،

- 33 -

وسمعت قلبك يخفق في حزن
فوددت لو أضع سكينه الوديان الغافية
في صدرك المضطرب،
وأصغيت إلى صوتك الموجوع
يهمس كناية .. في غابة بعيدة
فتسلقت نرى الأشجار
لأقتصص طيور الفرحة
لعلها تبدد شيئاً من مرارتك

- 4 -

لا.. ياوردة الشام
أيتها الطالعة .. من بساتين الألق
انهم يرمون جذعك الصلب
يريدون أن يكسروك
أيتها النابتة .. من ربي الخضرة
الطالعة من دروب الصباح
.. انهم ينهالون
على جذورك البعيدة
يمزقونها بفؤوس الصيارفة
أيتها العابقة بالفرحة
كسنوات المساء
الهائمة
كطائر نسيه السرب المهاجر...

- 34 -

انهم يُعرونك
من أكمامك المتوهجة
كشمس
لحظة طلوعها من وراء الأفق،
فلماذا تشبكين يديك
فوق صدرك
كجندي ألقى سلاحه،
ولماذا تغمضين عينيك
وأنت ترين النار
تحاصر غابتك البكر
وكيف يجيئك النوم
وهم يطلقون الدخان
كأطفال
يعبثون بكومة حطب؟؟

جميلة أنت ياوردة الشام
فلترفعي يديك
في وجه أزجال الجراد
واصرخي بكل صوتك:
لا

1981/6/8

...

ماذا .. لو أن

- 1 -

ماذا
لو أن هذا الشهاب الخاطف
يتمهل قليلاً،
لو أنه يتوقف لحظةً
عند قمة قاسيون
أو .. يرتمي
في وادٍ خفيٍّ
وراء بردى ..
عندئذ سأجمع عمري كله
الأمس واليوم، والغد
مثل صرّة ملوّنة
وأقذفها عند قدميه
وسأزيح الغبار الملتهب
عن صدره
وأضع رأسي هناك
لابكي من الفرح.

- 2 -

- 36 -

ماذا
لو أن هذه المركبة الأثيرية
المسرعة أبداً
كضوء
ينهمر من الشمس
.. لو أن هذا .. الشيطان الحجريّ
الذي يطلع صباحاً مرةً
ويسقط لياليَ حالكةً مرات
لو أنه يصفو ذات يوم
فيهدأ حصانه النزق ..
عندئذ سأتناول زمامه الطويل
وأجذبه بقوة
دفعةً واحدة
لأتوقف به
غير بعيد
تحت شرفة حبيبة...
.. هناك سأجعله يصهل
كأنه يتذكر شباب الكون
ورغم أن صوتي
لم يعد يصلح للغناء
فسأظل أغني

حتى تنفرج ستارتان سوداوان
ويطل صباحي الأخضر.

- 3 -

ماذا ...

لو أن صفحات الكتب
تذيع أسرارها جميعاً
في وقت واحد...
لو أن عشاق الأرض أشرعوا أفلامهم
وراحو يكتبون .. معاً
بكل لغات
هذا الكوكب المجنون
لو أن المغنين
جاؤوا من وراء البحار
ومن أعماق السهول البعيدة ..
من ذرى الجبال
التي تعانق الله
ومن أقاصي الأغوار الحارة
وراحوا يصدحون
بأصدق اغنيات الشوق..
ترى ..
من يقدر من هؤلاء

- 38 -

أن ينقل أسرار
هذا القلب
ومن يستطيع
أن يعرف هذا الاسم
الذي يضطرب به..
كل لحظة؟..

1981/3/19

...

صلاة

" وَاِنِّي لَتَعْرُونِي لَذِكْرِكَ هَزَّةٌ
كَقَضْفَةِ الْمَقْرُورِ اُرْعَدَهُ الْبُرْدُ "

من أين يجيء كل هذا الصقيع
وأى شيطان
يحرك هذه الرياح القطبية
وكيف أمكن أن يتقطر
هذا العرق البارد
والشمس تلتفح الشرايين
كجمر يتلوى عليه عصفور

-2-

خطواتك المتوارية وراء المسافات
كألحان ناي متوحد
صوتك الغائب
في ضجيج الكورس المختلط
عينك الغائمتان كأحزان المساء
شفتاك المختلجتان
كقلب طفل مكسور

حزُنك العميق
مثل الليالي الطويلة
.. أسرارُ الصقيع
الذي يعصف بالصَّدر
ويجثم على القلب
كجبال الجليد ...

-3-

ليت لأنفاسي القوة
كي أبدد الدخان من حولك
ليت ليدي ضراوة المعول
لأفتت الصخور.
المتناثرة كأشواك الصحراء في طريقك
ليت لي عيني نسر
لأنقضّ على الأفاعي
التي تزرع السم في مفاصلك
وآه آه .. لو كان لي رأس (منيرفا)¹
وليت لي جناحي (ايكاروس)²
أو جسارة السندباد³
لأربط نفسي معك

¹ - الهة الحكمة عند اليونان
² - طار بجناحي شمع فأدابتها الشمس
³ - في حكايات ألف ليلة وثيلة.

فوق مخلب الرخ
وأطيربك .. نحو أرض الحب

-4-

كم مرة نسجت كنزة الصوف
ثم كررتها يا (بنيلوب)¹
كم فتحت عينيك في الصباح
علي مركب قادم من (ايتاكا)²
ثم أغمضتهما في الليل
على كابوس طالع
من جبل (الأوليمب)³
ياكتفبك المتعبين
ينوءان بالصخرة⁴
صاعدين هابطين كل ساعة ..
فماذا أقدر أن أصنع لك
سوى أن أركع عند قدميك
وأصلي لكل الوجع
الذي يهز قلبك النبيل.

1 - زوجة اوديسيوس الوفيه بطل (الأوديسة)

2 - جزيرة مزبها اوديسيوس

3 - جبل الآلهة عند اليونان

4 - إشارة إلى سيزيف المعاقب بأن ينقل الصخرة إلى أعلى الهضبة فما إن يصل بها حتى تتدحرج ثانية.

وجه الخير...

ياوجه الخير .
مأحلاك .. في الوقت،
تهطلين غيثاً،
يملاً بالندى .. حارات دمشق العتيقة،
تملئين الفضاء ...
قوسَ قزح،
أوسع من حلم
تمشين .. على ذؤابات الربيع،
تفتحين...
في قلب الصقيع
نرجسا ومضعفا ... وزنابق،
وبيدك الصغيرة الخضراء،
تزعين من المفكرة،
كل الأوراق .. السود والصفير

ياوجه الخير...
مأحلاك ... في الأرض
ضحكة تشرق بين الدموع

في وجه طفل ...
كلمة تقفر بين السطور،
في كتاب مغلق.
نحلة تبني عشاً
بين الصخور
في جبل شاهق ...
قلماً طرياً،
يقدر أن يكتب ...
فوق الكتابان ...
.... جذوة
تشتعل وتتطفئ،
وتظل أبداً
تلد الوهج .
غيمة،
خافية وراء الأفق ...
تجيء في مواسم الرعد

ياوجه الخير
مأحلاك .. في ملاعب العمر
فراشة تركض بين الزهر،
ونضيع وراءها

في مساكب القمح
أغنيةً ..
تتعثر في لثغة الشفاه،
عيناً على رفاق الحي
ينطون بالحبل ...
وعينا مفتوحة في السر
عند المنعطف ..
قطعةً من قصب السكر،
تتدور من أجلها العيون،
شحروراً مغنياً،
ينط على شجرة الكينا،
ويحلم كل أن يسمعه وحده.

ياوجه الخير
ماأنضر وجهك ...
بيزغ كندی
فوق غصن .. يجف
ما أحلى يديك،
تتدفقان فراتاً...
في أرض تتصحر ...
وما أكبر صدرك ،

تتمو عليه براعم الصبح.
ياوجه الخير.....
ياوجه الخير.

...

التجديبي

أيها النائبي القريب
كنت يوماً
أبعد من كوكب منطفيء،
وكنت طريفاً
مثل درب التبان،
غامضاً كالنوم والأحلام واليقظة،
وغير مخيف
مثل قط اليف
ينام آخر الليل
تحت قدمي صاحبه

كنت خيمة
نتفرج على الضبع
القابع وراءها
في العيد

أيها الشرس
كزئير الوحوش الكاسرة

أيها السري
كأصوات الأدغال الاستوائية
لماذا تطيب لك لعبة الأشباح؟
وتجأ بصوتك المبجوح
كل لحظة،
وأنت تنعب كالغريبان
طائراً من غصن لغصن؟

ضفدع أنت أم نسر
ماسة أم فحمة محروقة
منديل وداع
أم أغنية أعراس؟؟
قنديل مختنق الضوء
أم شمس لاتغيب
وميض يراعة
في ظلمة البساتين
أم ضوء النهارات
المشتعلة أبداً؟؟

أيها الطفل الأبدى
أما أن لك

أن تقتل شاربك
أما حان الموعد
كي ترفع اللثام
عن وجهك؟
أريد رؤية الحقيقة:
أوجه أنت أم قفا؟
أغنية المروج الجديدة
أم نواح ضائع
في الأودية
كتاب يُفتح
أم صفحات تغلق؟
شبكة صياد ضائع
في أعالي البحار.....
أم صنارة طفل
يتسلّى بقتل الكائنات؟

ياورقة
لم يعرف آدم
كيف يثبتها
وهو يذوب خجلاً
أمام عيني حواء الوقحتين

ياصخرة
لم يستطع أحد
أن يبلغ بها الأعالي
ياشمساً
أحرقت الجناحين
ياتيها
مايزال لفح رماله
يحرق الجميع..
أني أود أن أجمع
كل حب الأرض
وأضم في باقة واحدة
شفاه الصبايا
وأضع في الأغنية نفسها
جميع ألحان الشوق
إلى أزمنة لاتنتهي
وأمكنة تمتد..
حتى اللانهاية .
أريد أن أحرق
بخور السحرة
وأنثر تراب المنجمين
عند أطراف الأفق

كزهور المساء ...
ففي نيتي أن أفعل
مالم يستطعه إنسان....
... وذات صباح
بعد أن تشتد ضربات القلب
كما لو كان آلة في مصنع
يديره عامل نزق
وبعد أن تتوالى
المرارات والكآبات
وأحزان الأرض
أمام عيني
كفيلم سينمائي سريع..
لا بد أن أفتح فمي
لأمد لساني
في وجهك،
أيها اللئيم
أيها الموت

...

عودة إلى زمان الهوية

كيف تتهمر الذكريات
على القلب
كقطرات ندى
في صباح
مغموس بالضباب...
وكيف تتطوي السنوات
مثل سكة طويلة
يدير عليها
قطار مجنون ...
.. معذرة ياناظم¹
فإن أجمل الكلمات
ذاك الذي كان ينبغي
أن نقوله.
وأحلى الأيام
هو ذاك الذي كان يجب
أن نعيشه.
وأجمل الأطفال

¹ - ناظم حكمت الشاعر التركي المعروف.

هو هذا الذي غدا شاباً.. اليوم.
..أما نحن
أيها المرتحل الأبدى
بين البلاد والأزمنة
فإننا حزِينون جداً
ولم يبق لنا من عزاء
سوى أن نلتفت
إلى الخلف
مثل فتى طائش
يبحث في الغابة
عن هويته الضائعة.
.. هل جرفتها
مياه الجداول التي لا تقف
أم غمرتها
أضغاث الصنوبر البري؟
أم .. ترى اشعل بها النار
تائه في الزمهرير؟...
هل خبأها الهدهد
بين خوافيه
وراح يلهوبها
في ذرى الأشجار؟

ومن تراه هذا
الذي يلوكها في فمه:
أهو ذاك الحصان الجامح في البراري
أم هذا الثعلب
المتواري وراء جذع السنديانة الضخمة؟
وهل لازالت أسنان الليث الكهل
قادرة على المضغ؟

ما اسم تلك الوردة
التي لا تفتح أكمامها
إلا... في الأحلام؟
وهل يعيش
سوى الشوك
على الجذع الذي هجرته البراعم؟؟

طويلة هي المسافة
بين البنفسج المنسي
في تضاعيف العمر القصير
وبين الخلايا المترامية
وراء الجبال...
ولكن شمim الربيع

يعبق في الشهد
ويعشق النحل وردة
ترسل أكامها
في كل فصل
ويرشها الندى
كل صباح
ومع كل دفقة عطر
تبعث الغافي
من الذكريات...

لا بد أن تعود
لا بد
تلك الهوية الضائعة
.. لا بد أن ينتفض
لا بد ...
ذلك القلب الغافي ...
على هدأة الذكريات.

...

انا وأنت

(أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا البدنا
فإذا أبصرتني ... أبصرتة ..
وإذا أبصرتة ... أبصرتنا...) -
الحلاج -

-1-

ضميني إليك .. يا صدري
أغمضي جفنيك علي .. يا عيني
اسدلي شعرك فوقي .. يا فيئي ..
انهمري رذاذاً على روعي
يا شلال العمر
ضيئي سماواتي المكفهرة
يا قمر اللحظات
أوقفي عقاربك
على روابي الحنان
وأطلقني جوادك الأبيض
كالبشارة

- 56 -

فلا بد أن تضرب سنابكه
خط الأفق
ولا بد أن يصله هناك
على إيقاع الفرع الذي
ترسمه قدماك الصغيرتان.

-2-

أنا البزرة
وأنت التراب.
أنا الغصن
وأنت الجذور
أنا الورق الهائم
خلف حقول الضوء
وأنت أغنية الفراش
ونشيد النحل.
.. أنا الندى المتقطر من صحارى الليل
وأنت أكام الفل التي توقظ الصباح.
أنا النعناع الحاني على أطراف السواقي
وأنت وسوسة الغدران
الغائصة في أعماق الوديان.
أنا الذؤابات المتبقية من شمس الأصيل
وأنت شحارير المساء

- 57 -

والقمر الطالع من بيادر قاسيون
أرجواناً
كخود العشاق
لحظة اتلاق العيون.

- 3 -

أنا تلبد السحاب
وأنت أمطار المدار
أنا النورس الضائع
في فيافي البحار
وأنت فنار الشواطئ
ومنارة السفن النائمة
على كتف الخليج
كرضيع على ندي أمه ...
أنا المركب المبحر نحو الغروب
وأنت هدير الأعماق
في جزر اللؤلؤ ...

- 4 -

أنا الزورق
وأنت القلوع والسواري
فلتعانقي الرياح القادمة
من مواطن المياه الزرق

- 58 -

ولتبحري
نحو السواحل الغافية
على منابت الصحو
واعلمي أن الأنواء
لن تهز ثناياك
بأكثر مما يخفق هذا القلب
في ملاعب العيون الخضراء.

- 5 -

أنا صدرك
يابراعم الياسمين
فاعبقي على وسادة الصبح
أنا عينك
فلترفي يا أكمام الفلّ
كنسائم الواحات
بعد السحر..
أنا غرتك المنسدلة
كظلال السنديان
فلتتفئيني
في مواعيد الهجير.
وأنا الرذاذ المتناثر
من مساطك الصافية

- 59 -

كأشواق الصبايا
فابتري ..
واغسلي قدميك
بماء .. فيه شيء من ملح الخبز
ودمع العيون

1981/6/25

...

أربعة عشر

أواه يا حبيبة..
هذا هو القمر
أمسى ابن أربعة عشر
مثلما كنت أسمع في الحكايات
ربما كنت الآن ياسمينة
تنام على فراش الليل
في هدأة السحر
وربما كنت يمامة أضناها الحنين
وراحت تهدل دون أن يسمعها أحد
في عتمة السكون
فآه لو كنت أنا، قطرة في هذا الشعاع
المشرق كغرتك
إذن لو وضعت على جبينك النبيل
شيئاً من ندى الصبح
ولحركت كل أنسام الفجر
لتحفل وصادتك
بعبق الزنبق البلدي
الطالع من بساتين الشام

.. وجعلت سريرك الغافي على الصخر
مثل أرجوحة تهزها الأحلام
على كتف بردى..

- 2 -

آه يا حبيبة ...
لقد أمسى ابن أربعة عشر.
المُحاق ..
بات ذكرى حزينة
كأيام الرماد.
والهلال الصغير
مثل أطراف أظفرك الأنيقة
أمسى أميراً قوياً
يبسط سلطانه على ملكوت السموات
تماماً .. مثلما تفعلين أنت
بهذا القلب المتعب
ترفقي قليلاً إذاً
وأنت تسدلين في وجهه الستائر
وافتحي عينيك جيداً،
فإذا كنت لأملك أن أراك الآن
فقد جعلت من الألق
رسول أشواقي إليك،

- 62 -

وإذا لم يكن مألوفاً
أن تنطلق الخيل في الليل
فإن جوادي الجموح
يصهل تحت شرفتك

- 3 -

أواه يا حبيبة
إن ابن الأربعة عشر
يخفق في الصدر
بكل نزق الفتيان
ويومض في العينين
كهتاف الحنايا
ويهتز في السمع
كأناشيد الشيطان ..
لقد غادر موقعه
في سدة الليل
وهاهو ذا يتكئ على شرفتك
يود لو يرسل أصابعه
لتداعب خصلاتك الشقر
وقد طارت بها، كالشوق
نسمة ليل.. زائرة

- 4 -

- 63 -

أواه يا حبيبة
وأنت لاتدرين شيئاً
من أوجاعه
فهو الليلة ابن أربعة عشر
لكنه، أمس، كان
في عمر البراكين الخامدة
ورواسب البحر
وفجاج الجبال..
تتمو في صدره
صواعد الكهوف
وينتثر على أطرافه المحار والحصا..
وتنام في قلبه
زهرة متحجرة .

- 5 -

أواه يا حبيبة...
مأروعك وأنت تتأمين
في حراسة ابن الأربعة عشر
وتديرين رأسك على الوسادة
بين يديه الوادعتين
فهل تدريين أنه يخشى
أن يعود إلى البيت

- 64 -

لئلا يزعج عينيك الراققتين
كمياه الجداول الصافية؟

1981/7/17

...

عشنتار

ضعي يدك على الصخر
يورك فلأ وياسمينا وزنايق.
انظري نحو الحقول والبساتين
تصدح بين يديك أغنيات الخصب.
اضربي الصحراء بقدمك الصغيرة
تتفجر عيوننا وسواقي
أشيري بأصبعك إلى الليل
تتمح العتمة
وتطل أقمار جديدة ...
داعبي بأناملك
قرنفلة ضائعة
عند أطراف البساتين
ترقص حقول الزهر والندى
تحت قدميك ...

- 2 -

اطلعي نجمة صبح
يكن الأفق وسادتك
تمطي شمس ضحي

- 66 -

تهزج باسمك الجبال
وتتمرجح على ذواباتك
عرانس الوديان.
.. الفحي هجيرا .. عند الظهيرة
يتقطر الندى
من أطراف النهار.
رفي نسمة .. بعد الأصيل
تبايعك السنونوات
ملكة على المساء.
... فإذا أحببت أن تطلي
هلالا من شبابيك الليل
فإن ألف ألف وردة
تنتظر أن ترقص في ظلالك

- 3 -

من الشرق تطلع الشمس
فمن أين طلعت أنتِ
ياضوءَ هذا العمر؟
.. ومن أعماق الأرض
تتبجس الينابيع،
فإلى أي تراب تنتمين
ياجدول الفرح الأبدي؟

- 67 -

..من مشاتل العبق
ينبت السوسن والمضعف والبنفسج
ففي أي بستان
تزهر شتلاتك دائمة الخضرة ؟
..ومن فيافي الكون
يبرز القمر والشمس والنجوم
فأي فلك أطلعك
ياوردة الألق؟

- 4 -

كوني دماً يمور في الشرايين
أكن نبضة .. قرب الرسغ.
.. اعبقي هواء يضح به الصدر
أكن زفرة
تحن إلى شففتيك
تماوجي حقل ربيع
تغني به العيون
أتمايل بين أيدي الرياح
عشبة صغيرة
تهتف بأسمك.

- 5 -

- 68 -

ارتعاش هديك
حلم الريشة والقلم
ولحن خطاك
نشيد الحبر
وعلى خفق قلبك
يضبط هذا الكون نبضه.
... فآه لو أضع رأسي هناك
لأنام مرة واحدة في العمر
.. في أرجوحة الحنان.

...

ربما

ربما اشتعلت أنتَ
ربما اتقدت
في قلبك جمره
فاستطعت أن ترى
في العتمة ...
قوس قزح

ربما نظرتَ
في عيني خضراوين
فرأيت سهوب العمر
وجميع شيطان هذا الكوكب.

ربما أطل عليك وجهه
كأنه الرؤيا
فلمحت فيه
أجمل ماكان
وأصدق ما يمكن أن يكون
ربما وضعت رأسك

على كتف
فاطمأنيت كطفل
وانبجس في سرايبك
كل حنان الأرض
وشعرت...
بدفء الله.

ربما احتوت كُفكُ
أنامل
طرية كوجنة رضيع
فعانقت المسامُ المسامُ
ونزفت دماؤك
من تحت الجلد
وأحسست
أن شعر يدك الخشن
صار بساتين
كحقول السماء

ربما التقت في عينيك
أحلى أشياء العمر:
شمس دمشق

تغرب ..
خلف البيوت العتيقة والمآذن
وعينان
تجتاحانك
كسيل
يجرف معه
كل زهور الأرض.

ربما .. وقفت هناك
في وجه قاسيون
واحتويت صدرًا
أحنى عليك من أمّ

ربما .. جلست هنا...
على كتف بردى
يغمرك شميم الربوة
من كل جنب
فشعرت
بأن شيئاً ما
يحترق في أعماقك
وتمنيت أن تمد يدك

لتضغظ علي يد

تشبه عنقوداً

من ياسمين الشام

ربما خفق قلبك بشدة

كفؤاد ابن أربعة عشر

فشعرت

أن ضربة واحدة أخرى

تكفي لأن توقعه ...

ربما امتلأ صدرك بالحب

مثل كأس طفحت

وشرعت تفيض..

ربما وجدت رأسك

ذات يوم

فارغاً

إلا .. من صورة واحدة

خاوياً

إلا من فكرة ملحة

ربما وضعت معصمك

على الأذن
ورحت تصغي
إلى نبض دمك
فلم تسمع
سوى الأغنية التي
استوطنت في الشرايين.

ربما ...
حدث هذا كله
ولكن ...
هل كنت تعرف
قبل ذلك
أن هذا مايمكن أن يجري
حين اخذت تتمشى
في تضاريس العيون الخضر؟

وهل سبق لك
أن تعلمت
كيف تبتلع سكيناً
بحدّين قاطعين
وهل أخبرك أحد

أن الحب ممنوع
في بلدنا
كالصدق والحشيش؟
ربما؟
ربما.... ماذا؟؟
قف على قدميك
واملاً رنتيك بهواء صباحك الجديد
وتابع رحلتك دون كلل
ولاتحمل شيئاً
على كتفك...
سوى اسم من تحب
رغم أنك سائر
في طريق "الجلجلة"
واملاً جيوبك
بالخبز الذي صنعته حبيبتك
فلا بد أن تأكلا منه...
على مائدة واحدة...
ذات يوم.....

1981/3/22

من أغنيات طائر الرعد

.. أن نعود طفلين
نتسلق السلالم
كعفاريت صغار
ونمتطي سهوة الأرجوحة
فتطوح بنا
كمهرين جامحين في البراري ...
.... أن نضيع في غبشة المساء
وراء مقاعد الحديقة
أو خلف شجيرات المرجان الخضر..
أن يهبط الليل
ونحن متواريان
بين الظلال والطيوف
وسراب المساء...
مارأيك
أيتها الطفلة الحبيبة التي
لم تستطع أن تكبر؟

أن نخلع الأكاذيب الكبيرة

مثل ثياب غير نظيفة،
أن نغسل عيوننا
ببريق الفجر
ونسلم أغنيات الصباح
الذي يوشك أن يطلع...
أن نشم عبق العطر الذي
يتضوع من بساتين النهار...
.. متى أيتها المرأة الطيبة ..
كجعة حنون؟

... أن نعيش يومين نقيين
ولو في عمر فراشة ..
ونبحر في أعماق الكون
ولو .. كشهاب
مايلبث أن ينطفئ ..
.. أن نندفع
كحصى بركان
ربما عرتها القشعريرة
عند أقدام السفح،
.. أن نهيج كعاصفة
لا يُعرف متى تهدأ

ونحلق في كبد السماء كنسر
ثم نرحف ببطء
كسلحفاة بين الأعشاب..
. أن نفتحَ كفيْنا لنشرب
من ينابيع المجرّة
ثم نغمض أعيننا
لنضع بين تضاريس النجوم

. مارأيك ايّتها السحابة التي
يضيئها خوف الإِطار؟؟

افتحي عينيك لحظة
واغمضيها .. لحظة أخرى
اشربي كأساً مترعة باردة
واكسري كأساً فارغة دافئة
.. تأملي برعماً يفتح الندى
ومزقي وردة .. أحلى من وجنتي طفل
اشردي مع الرياح الآتية
من صوب المستحيل....
وارتوي بالمطر القادم ...
من غيوم الاستواء ...

انهمري مع الشعاع المنسكب
من الشمس،
وارتفعي مع البخار المتعالي
من أطراف الشواطئ ...
... ولكن .. ماذا بعد؟
مادامت الحدود متشابهة كلها،
ومادمننا لانعيش
سوى مرة واحدة؟؟

...

بيتنا

أي .. البيوت .. أرحب ..
وأي الأبواب .. أكبر
وأي الغرف .. أضوا
وأي الأجراس .. أقوى؟

أمس وضعتِ رأسك هناك
كدت تتامين من عناء الرحلة،
.. ولكن عندما صحوت فجأة
على صوت الصرير
كمن يستيقظ من كابوس
ثم أخذت تبحثين
عن ركن دافئ هادئ ...
وأزعجك ذلك الرنين الملحّ ...
فإنك لم تعرفي حتماً ..
أن هذه هي حدود مملكتك.

قد لا تجدين أريكة
من الأبنوس الفخم

تليق بأميرة حقيقية ،
.. وقد لا تكون البوابة مطّعمة بالذهب،
ولن تلقى خدماً
يتقنون الانحناء وتقبيل الأيدي
.. وربما خلت مائدتنا
من لحم الطاووس
ولم تمتلئ كأسنا
إلا ... بماء بردي
أو بعض الخمر الرديئة ..

ربما لم يوقظنا في الصباح الباكر
صوت البلابل والحساسين ..
بل .. مواء قط جائع
يرتعد في الزمهرير
أو صياح كناسي الطرق
وهم يتخاصمون على لقية
وصوت الفلاحة القادمة
من الغوطة الشرقية ...
كي تتبع حليبيها المغشوش .

هذا هو بيتنا

أيتها القادمة
من مواطن الصباح.
... حدوده حقول الفستق الأخضر
في الشمال
وبساتين الزيتون
المنتشرة كالجهاث الأربع،
ومسالك القمح السمراء المتوهجة
في الجولان
وعلى ضفاف الخابور.
وسياجه
كروم التين
وغابات اللوز البري ...
قرب جبال الضباب ..
وراء الشواطئ
وعناقيد العنب التي تتدلى
كمصابيح الفجر
في الغوطتين.

تكبر بوابتنا
حتى يمر منها كل الناس
الذين يعشقون الورد الجوريّ

وأرغفة الخبز الساخنة
والزيت والزعتر ...
ثم تصغر .. وتضيق
حتى لا يمرّ منها .. ذيل ثعلب
أوحمة عقرب.

.. وكل يوم يأتي إلينا
الهاربون من الرطوبة ... والعتمات
ليفتحوا عيونهم
على الضوء الذي ينمو في غرفتنا
كنبته نعناع .. على ضفة جدول.

وحين تهدأ الأصوات
الطالعة من صحارى الخواء والضجيج
.. يهز الحارات
رنين جرسنا الفولاذي المتين
أصدق، وأعلى .. وأقوى .

بلى ...
هذا هوبيتك
ذاك هو الباب

وتلك هي غرفتك المضيئة ..
فلتغفي هنا ..
فوق صدري ...
حتى الصباح.

...

حببتي

"ما العمر إلا ليلة"
كان الصباح لها جيبنة"
أحمد شوقي

كم عمر حبيبك
أيها الرجل العاشق؟
- حبة عيني ..
عمرها عشر سنوات ..
ألا ترى وجهها ..
وعينيها الحزینتین
وخطین علی الخدین
قرب الفم المكلثم؟
- لا بأس .. لا بأس
لكن روحها مازالت
في نضارة فلة
تستقبل الصباح
وهي ما برحت تحمل مراتها الصغيرة
لتمازح الشمس
بعد الظهر
وأراها كل يوم عند الأصيل

تركض بين أطفال الحي
وتختبئ في المطارح المعتمة.
- أيها الرجل المأخوذ
صدقني أن هذه اللعبة
لاتليق بامرأة ناضجة
- لا بأس .. لا بأس
قل ماشئت
فإن حبة عيني
تكره المساحيق،
ولاتحب البراقع والوجوه المستعارة

- 2 -

- كم عمر حبيبتك
أيها الرجل المسحور
- أغنية اللحظات حبيبتني
عمرها عشرون سنة
- ولكني رأيتها
وهي تحتوي رأسها بكفيها
وتشرد بعينيها وراء الأفق
كأنها تحمل في صدرها
كل هموم المجرة ...
سمعت أنها تصحو

- 86 -

قبل أن يطلع الفجر
لتبكي في صمت
كأنها هي المسؤولة
عن كل غصن
لم تدب الخضرة فيه
وكل ينبوع
جف، كلاء شجرة هرمة ...
- لا بأس .. لا بأس
غير ان قلبها
يخفق أحياناً
مثل نجمة الصبح
ويتألق في عينيها
بريق مقلتي صبية
يهز صدرها العشق
أول مرة
فتومضان
كقطرة ندى
في صباح ربيعي،
وحينذاك، فلست أدري
كيف يعبق في الجو
شميم البنفسج ...

أليست هي بنفسجة العمر؟

- 3 -

- في أي يوم ولدت بنفسجتك ..
ايها الرجل العاشق؟

- في اليوم الذي استراح فيه الله
بعد أن خلق الحب والكره
ونثر في الأرض

عناقيد العنب .. وثمر البلوط
... وإذا استطعت ان تمتطي بُراقاً
أو أن تطير في مركبة سماوية ..
وإذا قدرت ان تتسلق شعاعاً

ينزف من أبعد نجمة
أو أن تشرب قطرة

تتسرب من أقصى جدول
يتدفق من السماء،

حيث يتنزّه الله كل ليلة في سمائه السابعة ..
... وإذا استطعت أن تغوص

في أعماق المحيطات

ثم نفذت من أفطار الأرض ..
إذا قُدِّر لك أن تتذكر
الأقرب والأبسط

- 88 -

في لعبة الأيام والدقائق
... وإن توغلت يوماً
تبحث عن سر الأسرار
في الرقعة المترامية
على أنحاء هذا الكون ...
... وإذا عرفت أن أجمل أيام الاسبوع
هو آخر الأيام
وأن آخر السنوات العجاف
هي السنة السابعة
فذاك هو اليوم
الذي أشرقت فيه عينا حبيبتني.

- 4 -

- في أي صف حبيبتك
أيها الرجل ذو القلب الصغير ..
- حبيبتني .. ربما كانت في الصف الخامس أو السادس
وربما كانت تلميذة
في هذا المعهد الكبير ..
لست أدري تماماً ..
ولكن هذا هو ثوبها المدرسي
وعليه من جهة القلب
بقعة حبر صغيرة

- 89 -

وهاهي ذي في مقعدها
تتقل الأملية عن السبورة
وهذا صوتها
يرن في أذني
وهي غارقة في ضحكة مكتومة
مع جارتها ...
وفي عينيها توجس
من عصا المعلمة الصارمة.

- 5 -

حبيبتى ..
لم تطفر من صفحة
في ألف ليلة وليلة
وليست تخبئ في خزانها
مصباح علاء الدين
ولم تضع في أصبعها يوماً
خاتم المارد ...
ولم تحلم يوماً .
أن تضرب بعصاها
بساط الريح ...
.. مع ذلك،
فإنها لم تذكرني لحظة

- 90 -

إلا ورأتني بين يديها
مكتوف اليدين ..
ولم تدعني مرة
إلا ركضت إليها
أسرع من لهفة .

- 6 -

أغنية اللحظات حبيبتي
حبة عيني ..
بنفسجة العمر ..
تريد أن تعرفها أيها الشقي ..
توغل، إذًا، هناك،
في أعماق الوادي
وراء الأنهار السبعة¹
سل عنها بستان "هشام"²
تطلّع إليها ...
أعلى من قبة "السيار"³
.. ضع أذنك
على صدر "حدّد"⁴ ...

-4-

1 - بردى وفروعه الستة بعد قرية (دمر) عند مدخل دمشق

2 - بستان هشام بن عبد الملك

3 - كان فيها المرصد الفلكي الذي أنشأه المأمون في قاسيون سنة 214 هـ

4 - الإله الأرامي المعروف، وكان معبده مكان الجامع الأموي بدمشق.

تغلغلُ في حارات الشام العتيقة
.. اعبق مع الأسرار
فوق الحجارة الآرامية
فربما أخبرك شيخ،
في عمر دمشق ..
أنه رآها قبل قليل
تمر .. من هناك ...

1981/4/15

...

المبيبة الأم الأخت

- 1 -

- أنا ابنك الصغير يأمي
ألم تعودني تعرفيني؟
.. أريد أن أوسد رأسي صدرك
ثم أبكي
مفضيا إليك بأوجاعي
وكل الحرق المشتعلة في هذا القلب
فلتضعي يدك على خدي
وتمسحي دموعي
أم إن كنتك
لم يعد حنوناً ...
يا أم؟
- بلى .. أيها الرجل ذو القلب الصغير
أنا أمك وحببتك أيضاً
فماذا تريد بعد؟
- افركي أذني مثلما كنت تفعلين
في السنين الماضية

- 93 -

دعيني أقفُ قبالة الجدار
رافعاً يدي
حين أخطئ
- لا.. لاياحبيبي
فإنني أخشى أن أوجعك
ولكن ... مهلاً
افما أن لك أن تبلغ سن الرشد
ايها الطفل الكبير؟

-2-

- أنا شقيقك الأصغر ياأختي
أفما تريدان أن تصغي إلي؟
أريد أن أشكو إليك حبيبتني ياأخت
فهي مازالت تشرذني
في سهولها الخضراء
وتهزني مثل مركب
يضربه الأعصار.
.. أراها في الكأس الذي أشرب
أعذب من ينابيع الجبال
وأشمها في النسمة التي تهب
أزكى من الياسمين والفل،
وأسمعها في الكناري المغني

- 94 -

أحلى من أناشيد الفجر
والمحها بين السطور التي أقرأ
أصدق من كل الكلمات ..
- ولكني .. أنا حبيبتك
أيها الأخ العاشق
فكيف تشكو .. مني إليّ؟؟
أفما أن لقلبك أن يهدأ
أيها اللاهث أبداً
في مساكب العمر
خلف أغنية لاتنتهي!

- 3 -

- حبيبك، إذاً، أنا يا امرأة
صديق الأرصفة التي
تحب موسيقا قدميك
ورفيق الأشجار التي
تظلك حين يشتد الحر ..
عاشق النار التي
تغلي فنجان قهوتك،
وبواب الفرن الذي
تأخذين منه الرغبة
وناطور البستان الذي

- 95 -

يضع على مائدتك
أحلى سوسنة
وأطيب تفاحة ...
- بلى .. أنا أعرفك
أيها المشرد مع أنسام الليل
الضائع في حقول النجوم ..
ولكن مهلاً.
أيها القادم كأمطار الصيف
فلماذا تأخرت ...
كأن أحداً ... لا ينتظرك؟

-4-

- أنا رجلك أيتها الحبيبة المسافرة
كشراع ضيعته الموانئ
أنا "أوديسيوس" يا "بنيلوب"¹
وها قد جئت أخيراً
على كتفي كل العذابات التي كانت
وفي قلبي كل الفرح الذي يمكن ان يكون
وفي سراييني كل الدماء التي

¹ أوديسيوس أو أوليس من أبطال هوميروس في "الإلياذة" و "الأوديسة" طال غيابه عن زوجته "بنيلوب" بعد حرب طروادة فتعرضت لضغط شديد من بعض الوجهاء الطامعين بالزواج منها... لكنها ظلت تتحايل في إبعادهم وتنتظر حتى عاد أوليس.

تجيد أن تهتف باسمك .
.. لأريد أن أغمض عيني
وأنت أمامي
لئلا أفقد القدرة على الإبصار .
ولأقدر أن أسد أذني
وصوتك يرن
كأغنيات السنونو
لئلا أصاب بالصمم .
ولأملك أن أضع يدي
على أنفي ،
وأنت تعيقين كأسرار الكون
لئلا أضيع
في سراديب الرطوبة والصدأ .

- 5 -

يا امرأة ..
ياأخت، يا حبيبة، يأم
تكلمي .. فأنت سيدة الكلمات
وإذا شئت فاهدري
ياربة الأمواج
غني أيها اللحن الذي
يترنح على شواطئ المساء

- 97 -

.. وإذا شئت .. تعالي
نشرب فنجان قهوة
على ضفاف الليل المغادر
ريثما تهل أنوار الصباح ..

1981/6/3

...

مؤلفات نصر الدين البحرة :

أ- قصص :

- 1- هل تدمع العيون -قصص- مطبعة الجمهورية - دمشق 1957.
- 2- أنشودة المروض الهرم -قصص- وزارة الثقافة - دمشق 1972.
- 3- رمي الجمار -قصص- وزارة الثقافة - دمشق 1980
- 4- أغنية المعول -مسرحية وقصص للأطفال - اتحاد الكتاب العرب - دمشق 1978.. أغنية المعول - طبعة ثانية -اتحاد الكتاب العرب- دمشق 1983.
- 5- رقصة الفراشة الأخيرة -قصص- دار المجد- دمشق 1989.

ب- دراسات أدبية:

- 1- أحاديث وتجارب مسرحية - اتحاد الكتاب العرب - دمشق 1977.
- 2- الأدب الفلسطيني المعاصر بين التعبير والتحرير -منشورات الطلائع - دمشق 1977.

ج- دراسات سياسية:

- الثورة في أفريقيا - بالمشاركة - القيادة القومية - دمشق 1969.

د- دراسات تاريخية

- دمشق الأسرار -مطبعة الجمهورية -دمشق 1993

مع تحيات يحيى الصويفي
مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
SyrianStory